مت ٩: ١-٨: شفاء المقعد
مقارنة إزائيّة مع المصدر المرقسيّ وقراءة سرديّة

د. دانيال عيّوش

المقدّمة

اعتقد المفسّرون، وعلى مدى قرون طويلة، أنّ الإنجيل بحسب مرقس كان ملخّصًا لإنجيل متّى. ولكنّ المقارنة الإزائيّة الحديثة تبرهن أنّ متّى هو الذي كان يفضّل الاختصار في هذا المقطع، أي شفاء المقعد، وفي معظم المقاطع الآتية من مرقس التي تخبرنا عن العجائب. من هنا يُطرح السؤال عن العوامل اللاهوتيّة والسرديّة التي حرّكت متّى نحو اختصار النصوص المرقسيّة. وهذه أبرز المسائل التي تشغلنا في هذا المقال.

يتميّز إنجيل متّى عن الأناجيل الثلاثة الأخرى بِبُنيته الأدبيّة الجليّة. يتأخّر الكاتب عن ذكر الأخبار عن المعجزات حتّى الإصحاحين ٨–٩. يعرف قارئ هذا الإنجيل أنّ متّى يرتّب كتابه وِفقَ أجزاء محدّدة بدقّة. هكذا في الإصحاحات ٥–٧ يضع متّى ظهور المسيا في الكلمة (العظة على الجبل)، بينما في ٨–٩ يخبرنا عن ظهور المسيا في الأعمال (رج Poittevin 28). هذا القسم منظّم في ١٠ معجزات تتوزّع بتوازٍ بين خمس معجزات تتمّ في بيئة يهوديّة، وخمسٍ أخرى تتم في بيئة وثنيّة[١]. كما سنرى أدناه، تنتمي قصّة شفاء المقعد إلى مجموعة العجائب الحاصلة في بيئة يهوديّة، لأنّ للمقعد المتاويّ

(١) إنّ العجائب التي تحصل في بيئة يهوديّة هي: شفاء الأبرص (٨: ١–٤)، شفاء حماة بطرس (٨: ١٤: ١٥)، شفاء المقعد (٩: ١–٨)، وشفاء الأعميَين (٩: ٢٧–٣١). أمّا العجائب التي تحصل في بيئة أمميّة، فهي: شفاء خادم قائد المئة (٨: ٥–١٣)، إسكات العاصفة (٨: ٢٣–٢٧)، شفاء مجنونَي جدرة (٨: ٢٨–٣٤)، وشفاء المجنون الأخرس (٩: ٣٢–٣٤). أضف إلى ذلك قصّة إقامة ابنة رئيس المجمع المطعّمة بخبر شفاء نازفة الدم (٩: ١٨–٢٦). يتوزّع كلّ من هذين الخبرين، واحد إلى البيئة الأمميّة، والآخر إلى البيئة اليهوديّة على التوالي.

صفات واضحة تؤكّد على أصله اليهوديّ. يسرد متّى قصص العجائب بإخراج دقيق، إذ نلاحظ أنّ باقي المعجزات، خارج الإصحاحين ٨–٩، عددها عشرة أيضًا وأنّها منقسمة أيضًا إلى خمس لليهود وخمس للأمم[٢].

يتألّف هذا المقال من العناوين التالية: الجدول بالتغييرات التي أتمّها متّى على مرقس، ثمّ تفسير مقتضب يبرز ميزات قصّة الشفاء بحسب مرقس (مر ٢: ١–١٢)، وأخيرًا شرح لـ مت ٩: ١–٨ الذي يحلّل معنى التغييرات المتّاويّة من أجل إظهار خصائص لاهوت هذا الإنجيل الأنطاكيّ.

في الصفحات القادمة سنبحث مثلاً محددًا لتفاعل متّى والنصّ المرقسيّ. يمكننا أن نستنتج من هذا التحليل أنّ متّى يبني سرده الروائيّ إنطلاقًا من فكره اللاهوتيّ، ولا يقصد بوضع إنجيله أن يقدم لقرّائه محضرًا تاريخيًّا حرفيًّا لأعمال الناصريّ. العناصر التاريخيّة موجودة، لكنّها تخضع لإبراز يسوع الإيمان المتّاويّ بعد القيامة. صحيح أنّ متّى وجماعته مرتبطان ارتباطًا متينًا باليهوديّة الأولى، إلاّ أنّ انتقادهم للقادة اليهود يُظهر، من جهة، انفتاحهم التامّ على الأمم، ومن جهة أخرى، معاناتهم في عملية إثبات أنفسهم ككنيسة خارج اليهوديّة المعترف بها عامّةً.

٢. الجدول بالتغييرات المتّاويّة

إذا ما قارنّا التطوّر السرديّ في كلا المقطعين يمكننا تحديد الوحدات السرديّة (sequences) التالية:

(٢) في باقي الإنجيل تنتمي إلى البيئة اليهوديّة العجائب التالية: شفاء رجل اليد اليابسة (١٢: ٩–١٤)، خبر تكثير الخبز الأوّل (١٤: ١٣–٢١)، شفاء أعميَي أريحا (٢٠: ٢٩–٣٤)، وخبر شجرة التين اليابسة (٢١: ١٨–٢٢). أمّا أخبار العجائب في وسط أمميّ، فهي: المشي على المياه (١٤: ٢٢–٣٣)، خبر تكثير الخبز الثاني (١٥: ٣٢–٣٩)، شفاء ابنة الكنعانيّة (١٥: ٢١–٢٨)، وشفاء المجنون الأخرس (١٧: ١٤–٢١). في هذه المجموعة عجيبة شفاء مريض يعاني من مرضين: العمى والخرس (١٢: ٢٢–٢٣)، والأوّل منها له خلفيّة يهوديّة في معناه الرمزيّ، والثاني له خلفيّة أمميّة.

أ. الوصول إلى كفرناحوم

ب. الاجتماع في البيت

ج. تقديم المقعد أمام يسوع

د. غفران الخطايا

ه .المناظرة مع الكتبة

و. إتمام الشفاء

ز. خوف الجموع.

في هذا القسم سأصف العناصر الخاصّة بمتّى في كلّ مشهد دون أن أغوص في تفسير المعاني الذي سيتم في العنوان رقم ٤.

أ. **الوصول إلى كفرناحوم** (مر ٢: ١؛ مت ٩: ١): في هذا المشهد يختلف متّى عن مرقس في ثلاث نقاط: أوّلاً، يختار سفينةً كوسيلة تنقّل الناصريّ؛ ثانيًا، يبدّل اسم كفرناحوم بالعبارة «مدينته»؛ وثالثًا، لا يحدّد أنّ يسوع كان «في بيت».

ب. **الاجتماع في البيت** (مر ٢: ٢): إنّه مشهد مهمّ جدًّا لأنّه يخبر أنّ الناس كانت تحتشد حتّى حول الباب، وأنّ يسوع كان يخاطبهم بالكلمة. يلفت النظر أنّ متّى قرّر حذفه كلّيًا.

ت. **تقديم المقعد أمام يسوع** (مر ٢: ٣–٤؛ مت ٩: ٢أ): هنا أيضًا يُسقط متّى معلومات هامّة، وهي: الذكر أنّ حاملي المقعد كانوا أربعة، تجمّع الجموع عند الباب، وأخيرًا إنزال المقعد من السقف. يذكر هنا المفسّرون تحسين متّى للأسلوب اللغويّ عندما يبدل المصطلح «سرير» (κράβαττον) بـ"فراش" (κλίνης)، والفعل "اضطجع" (βεβλημένον) باسم المفعول "مطروح" (κατέκειτο).

ث. **غفران الخطايا** (مر ٢: ٥؛ مت ٩: ٢ب): في هذا المشهد يبقى متّى أمينًا للنصّ المرقسيّ. التغييرات بسيطة: إضافة فعل الأمر

«ثِقْ» الخاصّ بالقلم المتّاويّ، واستبدال زمن فعل القول المضارع (λέγει) بالماضي البسيط (εἶπεν).

ج. **المناظرة مع الكتبة** (مر ٢: ٦–١٠؛ مت ٩: ٣–٦أ): يميل متّى في هذا القسم أيضًا إلى الاقتضاب. في البداية لا يذكر أنّ الكتبة كانوا «جالسين» (مر ٢: ٦)، ثمّ يحذف السبب الذي يؤدّي بالكتبة إلى رفض يسوع: كانوا يعتقدون أنّ وحده الله يغفر الخطايا (مر ٢: ٧ب)، لأنّ هذه المعلومة كانت من البديهيات بالنسبة إلى جماعة متّى. فرق آخر: يعطي متّى صفةً لقيمة تفكير الكتبة باستعمال الكلمة «شرّ» في سؤال يسوع: «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ **بِالشَّرِّ** فِي قُلُوبِكُمْ؟» (πονηρα، مت ٩: ٤). أمّا في مرقس، فالسؤال هو «لِمَاذَا تُفَكِّرُونَ **بِهذَا** فِي قُلُوبِكُمْ؟» (مر ٢: ٨). يفضّل متّى أيضًا الاختصار وعدم تكرار العبارات «لِلْمَفْلُوجِ» و«احْمِلْ سَرِيرَكَ» الواردة في مر ٢: ٩. أمّا بالنسبة إلى الآية المركزيّة في هذا المقطع (مر ٢: ١٠؛ مت ٩: ٦ب)، فهي تبقى دون تغييرات، إلاّ أنّ متّى يفضّل تقديم العبارة «عَلَى الأَرْضِ» على الفعل «أَنْ يَغْفِرَ»، وذلك من أجل التشديد على أنّ الغفران لكلّ البشر.

ح. **إتمام الشفاء** (مر ٢: ١٠ب–١١؛ مت ٩: ٦ب–٧): ثمّة حذف أيضًا لبعض التكرارات غير الضروريّة: «لَكَ أَقُولُ»، «وَحَمَل السَّرِيرَ»، «قُدَّام الْكُلِّ». علاوة على ذلك يحذف الظرف الزمنيّ المرقسيّ «للوقت» (εὐθὺς). أمّا بالنسبة إلى تحسينات الأسلوب اللغويّ، فيضيف ظرفًا زمنيًّا آخر في آ ٦ب: «حِينَئِذٍ» (τότε)، وذلك لكي يحدّد نهاية الكلام الموجَّه إلى الكتبة، وبداية الكلمات الموجَّهة للمقعد. علاوة على ذلك يصرّف الفعل «قام» مرّتين على شكل اسم الفاعل (ἐγερθεὶς)، فتصير الجملة اليونانيّة أسلس. يلفت النظر كيف أنّ متّى يترك فعل القول في زمن الحاضر (λέγει)، مع أنّه كان

قد غيّره إلى الماضي البسيط أعلاه (مر ٢: ٥؛ مت ٩: ٢ب).

خ. **خوف الجموع** (مر ٢: ١؛ مت ٩: ١): نجد في نهاية المقطع تغييرات عديدة على مرقس. أوّلاً، يصوغ متّى جملة جديدة باستعمال الفعلين «خافوا» و«مجّدوا». يختلف أوّل الفعلين مع الفعل المرقسيّ «بُهِتَ»، أمّا الثاني فهو نفسه. في مرقس الفاعل هم «الجميع»، أمّا في متّى، الجموع وحدهم، لا الكتبة، يمجّدون الله. أضفْ إلى ذلك أنّ السبب للتمجيد في متّى هو «اللهَ الَّذِي أَعْطَى النَّاسَ سُلْطَانًا مِثْلَ هذَا». أمّا في مرقس، فيتعجّب الشعب ويقول: «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هذَا قَطُّ». سنفسّر لاحقًا معنى هذا الاختلاف.

٣. ميزات المقطع في المصدر المرقسيّ

في هذا المقطع يعود يسوع إلى كفرناحوم، القرية المركزيّة لعمله في الجليل (رج مر ١: ٢١–٣٩؛ ٩: ٣٣). في الآراميّة يعني اسم هذه القرية «بيت التعزية» أو «بيت الرأفة»، وبه يرمز مرقس إلى الشعب الذي يقبل افتقاد الربّ. في هذا الإنجيل أهل كفرناحوم يقبلون البشارة، بخلاف أهل الناصرة، وطن يسوع، وأهل أورشليم، العاصمة الدينيّة لليهوديّة الأولى الذين رفضوه (مر ٦: ١–٦؛ ١٤: ١–٢).

في آ ٢ يرد للمرّة الأولى المصطلح «كلمة» (τὸν λόγον) بمعنى مضمون البشارة الإنجيليّة: "فَكَانَ يُخَاطِبُهُمْ بِالْكَلِمَةِ»[٣]. تشهد هذه الآية لاستعمال الكنيسة الأولى لهذا المصطلح للإشارة إلى الكرازة الرسوليّة. الله إله الأحياء لا الأموات، ولذلك ينطق ويتكلّم. الله ينفّذ كلمته ويتمّم عمله بحسب مشيئته.

المقعد عند مرقس رجل وثنيّ لا يستطيع الدخول إلى البيت لأنّه تحت سلطة الكتبة (آ ٢، ٤)[٤]. يلاحَظ تقديم دور الكتبة كقادة دينيّين في حركة الجلوس

(٣) يرد المصطلح نفسه في ١: ٤٥ ولكن بمعنى «خبر»، وليس له هناك المعنى اللاهوتيّ والتقنيّ الذي يعطيه مرقس في ٢: ٢.

(٤) يقدّم كلاوانس (Klawans) مدخلاً جيّدًا إلى مسألة رفض اليهود لمشاركة الأمم في دينهم وعبادتهم.

ومراقبة يسوع (آ ٦). إنّ ربط مرض الفلج بالفعل «مشى» (περιπατέω)، الذي يُقال في العبريّة // هَ لَ خْ//، يلمّح إلى أنّ هذا الرجل لا يقدر أن يتمّم **الهَلّخَهْ**، أي السلوك بحسب الناموس، وهي عبارة تقنيّة للتكلّم على حفظ الناموس، وهي ترد عدّة مرّات في العهد الجديد في سياق الدين اليهوديّ (رج مر ٧: ٥؛ يو ٨: ١٢؛ أع ٢١: ٢١). أضف إلى ذلك أنّ هذا الرجل يأتي محمولاً من «أربعة»، والرقم أربعة يرمز في الكتاب المقدّس إلى اتجاهات الأرض الأربعة، أي إلى الأرض بأسرها (بمعنى الاتجاهات، راجع حز ٣٧: ٩؛ دا ٧: ٢؛ زك ٦: ٥؛ بمعنى ملوك الأرض، رج دا ٧: ٣،١٧).

يبيّن النصّ المرقسيّ بوضوح قوّة شفاعة حاملي المقعد إلى حضور يسوع. تخبر آ ٥ أنّ يسوع رأى إيمان الأربعة والمفلوج (ἰδὼν ὁ Ἰησοῦς τὴν πίστιν αὐτῶν). هذا يعني أنّ توسّل المؤمن من أجل الآخرين له دور وقيمة. في هذا المشهد يبرز إصرار الأربعة على إدخال المقعد إلى البيت برغم التجمّع عند الباب. يؤكّد النصّ أنّ دخول هذا الرجل لم يتمَّ من الباب، لكنّه مقبول من يسوع. بفضل شفاعة الأربعة وإيمانهم لم يتلَقّ المقعد الشفاء فحسب، بل غفران الخطايا أيضًا.

يؤكّد مرقس في آ ٧ أنّ الله وحده يغفر الخطايا، وذلك لكي يُذكّر قرّاءه بهذه الحقيقة البديهيّة. وإذا كان ليسوع سلطان أن يغفر الخطايا، فهذا يعني أنّه بالحقيقة آتٍ من الله (رج آ ٥، ١٠). مسألة غفران الخطايا للأمم هي المسألة المركزيّة في هذا المقطع الإنجيليّ. أمّا يسوع فيختار اللقب «ابن الإنسان» للتكلّم عن نفسه. يرد هذا اللقب هنا للمرّة الأولى في الإنجيل، وله الوظيفة نفسها والمعنى نفسه اللذان لهما في إنجيل متّى (أنظر تفسيره في الفقرة ٤. ٣ أدناه).

نجد في الآيتين ١٠–١١ الحجج المنطقيّة لإتمام المعجزة، وذلك بحسب منطق الحضور أمام يسوع. يعتمد يسوع هنا على المبدأ البلاغيّ القائل بأنّ على المتكلّم أن يطوّر حججَه للإقناع بمقدار فهم المستمعين (*argumentum*

ad hominem). بعد أن أكّد أنّ لابن الإنسان سلطانًا لغفران الخطايا، يأمر المقعد: «قُم وَاحْمِلْ سَرِيرَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ» (آ ١١). بحسب عقليّة الكتبة المذكورين عمدًا في آ ٦ كممثليّ الفكر الدينيّ اليهوديّ السائد، المعجزة أقوى إقناعًا من الكلمة، لأنّ المعجزة فعل قابل التحقّق منه واختباره، بينما الكلمة تبقى كلمة. أمّا بالنسبة إلى يسوع، فرسالته الأولى هي التعليم بالكلمة وغفران الخطايا بقوّة الكلمة لكي يفتح بالفعل أبواب التوبة لكلّ البشر. إنّه سرّ خفيّ لا يدرك إلا من قبل قابليّ الإيمان والبشارة.

في آ ١٢ يسرد مرقس أنّ الكلمة وصلت إلى الجميع، فمجّدوا الله. هذا يؤكّد أنّ الجموع رأوا في عمل يسوع عملاً من الله.

تلخّص هذه السطور رسالة المقطع المرقسيّ. يقدّم هذا الإنجيل مقعدًا وثنيًّا لا يستطيع أن ينال الخلاص بسبب عرقلة اليهود. أمّا تدخّل الأربعة فيسمح له أن ينال ليس فقط الشفاء، بل أيضًا مغفرة الخطايا. يظهر يسوع كمن له السلطان الإلهيّ على البشر ويطلق على نفسه لقب «ابن الإنسان». في القسم الثاني من هذا البحث ندرس تحرير متّى لهذا المقطع بحسب سياقه السرديّ، وبحسب اهتماماته اللاهوتيّة المطبّقة لحاجات جماعته.

٤. ميزات المقطع المتاويّ

٤. ١. التعليقات التفسيريّة

الآيتان ١–٢

يحدث هذا المشهد في «مَدِينَتِه» (τὴν ἰδίαν πόλιν)، أي في كفرناحوم، كما نستنتج من ٤: ١٣ «وَتَرَكَ النَّاصِرَةَ وَأَتَى فَسَكَنَ فِي كَفْرَنَاحُومَ»؛ وأيضًا من ١٧: ٢٤–٢٧ حيث يخبرنا متّى أنّ يسوع دفع الجزية هناك.(٥) لهذه المعجزة خلفيّة يهوديّة محض. من بين الأدلّة على ذلك نجد عبور يسوع البحيرة على

(٥) للتعمق في دور كفرناحوم في متّى، ر ج غنيلكا (Gnilka 2001, 325).

سفينة من شاطئ الأمم (الشاطئ الشرقيّ لبحيرة الجليل) إلى منطقة القرى اليهوديّة في الغرب (آ ١). في المشهد السابق كان يسوع في جَدَرة، أي في شرق البحيرة، وفي ٨: ٣٤ يطلبون منه أن يغادر هذه التخوم.

تشير أداة الوصل «وَإِذَا» (καὶ ἰδοὺ) في آ ٢ إلى بداية جديدة في السرد، وكذلك ذكر الشخصيات الجديدة في الرواية: المقعد وحامليه[٦]. كالمعتاد في الأناجيل يبقى يسوع المحور المركزيّ للمشهد. ينتهي المقطع بتمجيد الجموع لله لأنّه «أَعْطَى النَّاسَ سُلْطَانًا مِثْلَ هذَا». تتطلّب هذه العبارة تفسيرًا خاصًّا في حينها.

نجد في آ ٢ إحدى الإضافات القليلة على النصّ المرقسيّ. إنّه فعل الأمر «ثِقْ» (θάρσει) الذي يشدّد على سلطة يسوع، قوّة كلمته وقوّة إيمان المؤمنين. يرد هذا الفعل في إنجيل متّى بفم يسوع ثلاث مرّات. في ٩: ٢٢ يقول لنازفة الدم «ثِقِي يَا ابْنَةُ»؛ ولمّا مشى على المياه قال للتلاميذ: «تَشَجَّعُوا! أَنَا هُوَ» (١٤: ٢٧). بعد هذا القول يظهر يسوع دائمًا ربًّا وسيّدًا، له السلطان لإقامة المعجزات، فشعبه يقبله بإيمان (رج Luz 63).

أمّا بالنسبة إلى مجموعة الشخصيّات، فمن المهمّ أن نشير إلى أنّ هذا المشهد هو الوحيد في مت ٨–٩ حيث يحضر المريض مع وسطائه أمام يسوع. في العجائب الأخرى، إمّا يحضرُ المريضُ وحده (رج الأبرص في ٨: ١–٤ والممسوسَين الجَدَريَّين في ٨: ٢٨–٣٤)، وإمّا يأتي وسيطٌ يتوسّل من أجل مريض غائب (رج خادم قائد المئة في ٨: ٥–١٣، وبنت رئيس المجمع في ٩: ١٨–٢٦). علاوة على ذلك، يلفت النظر أنّ للحاملين دورًا سرديًّا بسيطًا. بحسب التحليل السرديّ، إنّهم فقط شخصيّات «خيوط» (*ficelles*, Marguerat 99.101) لأنّهم لا يقومون إلاّ بفعل واحد (حمل المريض) بناءً على إيمانهم. لشخصيّة «الخيط» وظيفة واحدة: أن تؤمّن متابعة الأحداث.

(٦) يعتبر لوتس (Luz 60) أنّ هذا المقطع يبدأ في آ ٢. في هذه المقالة فضّلنا إدخال آ ١ أيضًا لأنّ لها آية موازية في مر ٢: ١، ولأنّها تعالج موضوع العودة إلى كفرناحوم. أيضًا غنيلكا (2001, 324) وفيفيانو (Viviano 95) يعتبران بداية المقطع في ٩: ١.

الحاملون في متّى لهم فقط دور توضيحيّ لطريقة وصول المقعد إلى يسوع[٧].

بخلاف مرقس، تنتمي شخصيّة المقعد في متّى إلى الخلفيّة الدينيّة اليهوديّة، لذلك يحذف متّى ذكر التجمّع عند الباب وصعوبة وصوله إلى يسوع. في المقطع المرقسيّ يرمز البيت إلى الجماعة الدينيّة اليهوديّة (رج التفسير في الفقرة ٢ أعلاه). القصّة في متّى تجري بكلّ بساطة «في مدينة يسوع» (آ ١). وكأنّها تحصل في الساحة، في الهواء الطلق. أمّا البيت في متّى، فإنّه يدلّ على الأهل، لا على الجماعة الكنسيّة، كما في معظم الأحيان في مرقس (رِج Weingandt 503b). وفي هذا المقطع خصوصًا البيت يعني الأهل والسَكن الأمين (آ ٦–٧).

يرد في آ ٢ أنّ يسوع رأى «إيمانهم» (τὴν πίστιν αὐτῶν). لا يستثني، بالضرورة، الضمير المتّصل «هم» إيمان المقعد ولا يؤكّده بشكل جليّ. لذلك يجب التأكد ممّا إذا كان في النصّ إيمانُ المقعد مقصودًا ضمنًا. من جهة، تشير العبارة «ثِقْ يَا بُنَيَّ» (آ ٢ب) إلى سلطان يسوع عليه. من جهة أخرى، الخضوع التامّ لحامليه، صمته أثناء الأحداث كلّها وطاعته لأمر المسيح، هذه كلّها تشهد لموقفه الإيجابيّ تجاه مبادرة رفاقه وقبوله لسلطة يسوع. إنّه آمن بغفران الخطايا، ولذلك آمن أيضًا أنّه قادر أن يقوم ويمشي إذا هكذا ارتضى الربّ. البرهان الأوضح لإيمانه، إذن، هو فعله في آ ٧.

الآيات ٣–٧

في هذا المشهد يجري أبرز حدث في المقطع: لم يعطِه يسوع الشفاء بل «غفران الخطايا» (آ ٢). لذلك اتّهمه الكتبة وقالوا إنّه يجدّف (οὗτος βλασφημει). كما سبق وقلنا، كان اليهود وأيضًا المسيحيّون الأوّلون

(٧) يعالج مرقس مسألة الشفاعة بشكل واضح في هذا المقطع عندما يسرد إصرار الأربعة على تقديم المقعد أمام يسوع (مر ٢: ٤). أمّا في متّى، فالشفاعة مسألة هامّة أيضًا، ولكن في مقاطع أخرى، وهي مت ٥: ٤٤؛ ١٥: ٢٨؛ ١٧: ١٤–١٨؛ ١٨: ١٩. أمّا في هذا النصّ، فيشدّد متّى على موضوع الغفران المعطى لابن الإنسان.

يعتقدون أنّ الله وحده يمنح الغفران (رج مر ٢: ٧، لو ٥: ٢١). يسلّط متّى الضوء على رفض الكتبة للإيمان بالمسيح. يجيبهم يسوع دون أن يدخل معهم في حوار، إنّه يفضل أن يطرح سؤالاً عليهم بعدما كشف أنّهم يفكّرون "بالشرّ" (آ ٤، πονηρὰ). الهدف من السؤال هو كشف سلطان ابن الإنسان. الكلمات الموجَّهة إلى الكتب هي التالية:

«أَيُّمَا أَيْسَرُ، أَنْ يُقَالَ: مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ، أَمْ أَنْ يُقَالَ: قُمْ وَامْشِ؟ وَلكِنْ لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لابْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا» (آ ٥–٦أ).

يتبع متّى الأسلوب البلاغيّ نفسه الوارد في مرقس. حتّى تسلسل النصّ يلحق مرقس بالتفاصيل (باستثناء تغيير بسيط، كما أشرنا إليه في الفقرة ٢). اللقب الذي يستعمله يسوع هو نفسه الوارد في مرقس والمبنيّ على نبوءة ابن الإنسان في دا ٧: ١٣–١٤.

بعد ذلك يخاطب المفلوج ويقول له الكلام نفسه الذي ورد في مرقس: «قُم، إحْمِلْ فِرَاشَكَ وَاذْهَبْ إِلَى بَيْتِكَ» (آ ٦ب). تثبّت طاعة المفلوج الفوريّة أنّ العجيبة حصلت (آ ٧). هكذا يجيب يسوع على سؤاله ولا ينتظر جواب الكتبة. إذا كان قد أتمّ الأصعب بحسب فكر الكتبة، فلا يمكن إنكار سلطته لغفران الخطايا لأنّه برهن أنّ كلمته فعل. تاليًا لا يعود ممكنًا إنكار أنّه مرسلٌ من الله على حسب نبوءة دانيال لابن الإنسان.

تجدر الملاحظة أنّه في آ ٤ هناك اختلافٌ بين المخطوطات اليونانيّة القديمة. القراءتان الممكنتان هما «رأى يسوع أفكارهم» (ἰδών)، و«عرف يسوع أفكارهم» (εἰδώς). هناك تشابه شكليّ بين الفعلَين اليونانيَّين، وهذا ما أوجد القراءتين. معظم النقّاد يفضّلون القراءة الأولى «رأى» لأنّ الفعل «عرف» يبدو تصحيحًا على الأوّل إذ إنّ العبارة «عرف الأفكار» ملائمة أدبيًّا أكثر من «رأى الأفكار». علاوةً على ذلك، اختيار الفعل «رأى» هنا يتناسب مع وروده في آ ٢: «لمّا رأى يسوع إيمانهم»، في حين أنّ الفعل «عرف» يتطابق مع مرادفه «علِم» (ἐπιγνούς) في موازاته الإزائيّة (مر ٢: ٨ ولو ٥: ٢٢). لذلك نفضّل

هنا القراءة الأصعب والأقل انسجامًا. إذن، على الأرجح النصّ المتّاوي الأقدم كان يقول «رأى يسوع أفكارهم». هذا يمكن لأنّ الفعل «رأى» في العالم القديم يدلّ على مقدرة الفاعل لإدراك الآخر. كان مفهوم الرؤية يذهب أبعد من مشاهدة الصورة الضوئيّة حتّى يصل إلى إدراك ميزات الشخص الحاضر أمام المُشاهِد. هكذا يستعمل متّى هذا الفعل في ١١: ٨؛ ٢: ٢. ١٠؛ ٢١: ١٥، ويصل إلى استعماله بمعنى رمزيّ كما في هذه الآية وفي ٢٧: ٣ «لَمَّا رَأَى يَهُوذَا... أَنَّهُ قَدْ دِينَ، نَدِمَ» (Kremer 582-3).

الآية ٨

لم يأتِ الجواب الأخير من الكتبة، بل من الشعب (آ ٨). خوفهم يعبّر عن اعترافهم بالفعل الإلهيّ، ولذلك يمجّدون الله. هذا شبيه بتعجّب الشعب بعد العظة على الجبل في ٧: ٢٨. الشعب ليس كالكتبة، له استعداد للاستماع إلى الكلمة، ويعرف صوت الربّ.

يرد في هذه الآية تغيير مهمّ على النصّ المرقسيّ؛ فبدلاً من الجملة «مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هذَا قَطُّ!»، نقرأ أنّ الجموع يمجّدون «الله الَّذِي أَعْطَى النَّاسَ سُلْطَانًا مِثْلَ هذَا». هكذا يحوّل متّى السرد المرقسيّ إلى اعتراف إيمانيّ لجماعته جمعاء. كان مرقس قد شدّد بنهايته على سلطة ابن الإنسان التي تفوق سلطة معلّمي إسرائيل كلّهم. أمّا متّى فيطوّر الموضوع أكثر، ويؤكد على أهمّيّة سلطة يسوع داخل جماعة المؤمنين في زمن كتابة الإنجيل (رج مت ٢٨: ١٨–٢٠). لا ينحصر موضوع المشهد على حضور الله المرئيّ في ظهور ابن الإنسان فحسب، بل يؤكّد أيضًا الحضور الدائم والمستمرّ لابن الإنسان في الكنيسة. إذا كان ابن الإنسان مَن نال سلطة غفران الخطايا في زمن أعمال يسوع، بعد القيامة والصعود، ينفّذ المسيح هذه السلطة من خلال التلاميذ في وسط المؤمنين إلى أن يأتي ثانيةً (رج مت ١٨: ١٥–١٩؛ Luz 66).

في هذه الآية أيضًا نجد إحدى الفروقات بين المخطوطات اليونانيّة القديمة. إنّه الفعل الذي يصف ردّة فعل الجموع. في أهمّ المخطوطات يرد الفعل «خافوا» (ἐφοβήθησαν)، بينما بعض النساخ بدلوا فعل الخوف هذا بفعل مخفّف للمعنى، ودوّنوا «بُهتوا» (ἐθαύμασαν). ولكنّ شهادة المخطوطات تفضّل الفعل «خافوا» لأنّه يرد في المخطوطات الأقدم وذات المصداقيّة الأعلى، كالتي تنتمي إلى العائلتين الإسكندرانيّة والغربيّة (Metzger 20). هذا إلى جانب أنّ للفعل «خاف» مكانةً مميّزة في المؤلّفات الرؤيويّة لأنّه يعبر عن اعتراف المؤمن بالتدخّل الإلهيّ في آخر الأزمنة.

٤. ٢. الإعلان عن غفران الخطايا

عند تفسير هذا المقطع يسأل المفسّر ما هو الموضوع المركزيّ: أهو الشفاء، أم غفران الخطايا، أم ظهور يسوع كابن إنسان؟ لا شكّ أنّ الشفاء في حدّ ذاته ليس الموضوع الأهمّ، لا في هذا المقطع ولا في إحدى العجائب الأخرى. تقدِّم الشفاءات رمزًا أو آيةً ما، لكي يتعزّز الإيمان في قلوب القرّاء.

أمّا موضوع غفران الخطايا فهو عنصر جديد في هذا القسم من الإنجيل الذي يضمّ العجائب العشرة. من هنا تبرز أهمّيّة هذا الموضوع، إذ اعتبر يسوع أنّ الغفران هو أفضل ما يمكن تقديمه للمقعد، ولذلك يقوم بهذا العمل أوّلاً. يربط متّى الغفران بمفهوم مجيء ابن الإنسان. ليس هناك من نصّ في العهد القديم ولا في كتابات اليهوديّة الأولى يؤكّد على أنّ ابن الإنسان يغفر الخطايا (رج Harrington 122). هذه الفكرة جديدة في البشارة بيسوع الناصريّ، وهذا النصّ يطرح الصعوبة بقبولها، في حين أنّه يقدّم الأسباب المنطقيّة لضرورة ربط هذين المفهومَين حتّى يقال إنّ السلطة المعطاة لابن الإنسان تخدم لغفران خطايا البشر.

يقوم متّى بربط سرديّ بين خبر شفاء مجنونَي جدَرة (٨: ٢٨–٣٤) وشفاء المقعد، وذلك بواسطة آ ٩: ١ التي تخدم كخاتمة للمقطع السابق وكمقدّمة

للقادم. يستعمل متّى هنا تقنيّة التراصف (tuillage) التي تشير إلى ضرورة قراءة القصّتين كوحدتَين متكاملتَين (Marguerat 86). يشدّد متّى هنا على نقطة مشتركة بين المقطعَين: البشارة قد تتعرّض للرفض من الناس. في الخبر الأوّل يرفض سكّان المدينة فعل يسوع ويطلبون منه أن يغادر المنطقة (٨: ٣٤)؛ بينما في كفرناحوم يأتي الرفض من الكتبة فقط، وليس من الشعب (٩: ٣). يكمن الفرق بين القصّتَين في قبول الشعب اليهوديّ (٩: ٨) بخلاف القادة اليهود الذين أصبحوا كالأمم الوثنيّة في قساوة قلوبهم لكلمة الربّ. يبرز هنا بشكل جليّ انتقاد متّى لعناد السلطات اليهوديّة.

٤. ٣. ظهور يسوع كـ «ابن الإنسان»

يقول يسوع في آ ٦: «إِنَّ لابْنِ الإِنْسَانِ سُلْطَانًا عَلَى الأَرْضِ أَنْ يَغْفِرَ الْخَطَايَا». يرد هنا لقب ابن الإنسان للمرّة الأولى في الإنجيل. لا ينحصر استعمال هذا اللقب على إنجيل متّى فحسب، بل يرد في الأناجيل الأربعة أنّ يسوع يتكلّم عن نفسه بواسطة هذا اللقب[٨]. ولكن، من أين أتى هذا اللقب وما هي أبعاد معانيه؟

كما في معظم المصطلحات اللاهوتيّة في العهد الجديد، لا يمكننا تحديد مدلول اللقب إلاّ على ضوء العهد القديم. إنّه مصطلح رؤيويّ (apocalyptic). يشير، أوّلاً، إلى ذاك الإنسان الذي ينحدر من عند الله لكي يخلّص الشعب. يتفق المفسّرون أنّ أهمّ نصّ لمفهوم ابن الإنسان يرد في إحدى الرؤى للنبيّ دانيال:

١٣«كُنْتُ أَرَى فِي رُؤَى اللَّيْلِ وَإِذَا مَعَ سُحُبِ السَّمَاءِ مِثْلُ ابْنِ إِنْسَانٍ أَتَى وَجَاءَ إِلَى الْقَدِيمِ الأَيَّامِ، فَقَرَّبُوهُ قُدَّامَهُ. ١٤**فَأُعْطِيَ سُلْطَانًا وَمَجْدًا وَمَلَكُوتًا لِتَتَعَبَّدَ لَهُ كُلُّ الشُّعُوبِ وَالأُمَمِ وَالأَلْسِنَةِ. سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ مَا لَنْ يَزُولَ، وَمَلَكُوتُهُ مَا لاَ يَنْقَرِضُ...**

(٨) رج مثلاً: مت ٨: ٢٠؛ ١٢: ٨؛ ٢٠: ٢٨؛ ٢٦: ٦٤؛ مر ٨: ٣١؛ ١٠: ٣٣؛ ١٤: ٤١، ٦٢؛ لو ٥: ٢٤؛ ٦: ٥؛ ١١: ٣٠؛ ١٢: ٨؛ ١٧: ٣٠؛ ١٨: ٨؛ ٢٢: ٤٨؛ يو ١: ٥١؛ ٣: ١٣؛ ٥: ٢٧؛ ٦: ٢٧؛ ٨: ٢٨؛ ٩: ٣٥؛ ١٢: ٢٣. ٣٤؛ ١٣: ٣١.

[٢٧]وَالْمَمْلَكَةُ وَالسُّلْطَانُ وَعَظَمَةُ الْمَمْلَكَةِ تَحْتَ كُلِّ السَّمَاءِ تُعْطَى لِشَعْبِ قِدِّيسِي الْعَلِيِّ. مَلَكُوتُهُ مَلَكُوتٌ أَبَدِيٌّ، **وَجَمِيعُ السَّلاَطِينِ إِيَّاهُ يَعْبُدُونَ وَيُطِيعُونَ.** [٢٨]إِلَى هُنَا نِهَايَةُ الأَمْرِ. أَمَّا أَنَا دَانِيآلَ، فَأَفْكَارِي أَفْزَعَتْنِي كَثِيرًا، وَتَغَيَّرَتْ عَلَيَّ هَيْئَتِي، **وَحَفِظْتُ الأَمْرَ فِي قَلْبِي**». (٧: ١٣–١٤. ٢٧–٢٨)

في سفر دانيال النبيّ ترمز الحيوانات والوحوش إلى أشخاص ومجموعات بشريّة، وخاصّة إلى الحكام الوثنيّين الظالمين. تجاه هذا الوضع الفوضويّ يظهر أمام الله إنسان غير معروف يرافقه الملائكة والقدّيسون. يصير هذا الإنسان مرسلاً من الربّ لكي يتمّم مشيئته الإلهيّة على الأرض. إنّه يأتي لكي ينقذ المؤمنين من ظلم هذا العالم وليردَّ المختارين إلى الله (دا ٧: ١٤. ٢٧).

يؤكد النقّاد أنّ يسوع كان يفضّل أن يتكلّم على رسالته وهويّته باستعمال هذا اللقب (Gnilka 1999, 117)، هذا لأنّ اللقب «ابن الإنسان» لا يسبّب عثرة التجذيف (كلقب «ابن الله» إذا فُهم حرفيًّا)، ولا يحرّك الشعب إلى الثورة السياسيّة (كلقب «المسيح» بمعنى القائد السياسيّ). لم يرفض يسوع أن يطلقوا عليه ألقابًا أخرى مثل «المسيح» و«ابن داود» و«ابن الله»، لكنّه لم يطلقها هو على نفسه في كلامه. بحسب الأناجيل الأربعة، اللقب الوحيد الذي استعمله يسوع هو «ابن الإنسان».

الخاتمة

تمّ تدوين إنجيل متّى من منظور الكنيسة التي صارت تتميّز عن دائرة المجمع اليهوديّ لكي تأخذ هويّتها الخاصّة. إنّ كنيسة متّى هي الكنيسة التي تعلّمت المسيرة على ضوء تعليم المسيح، واعترفت بعزم بسلطانه على الأرض كلّها.

لمتّى البشير أوّلويّات سرديّة واضحة: الكلام المختصر في إخبار الأحداث، إبراز المسيح في وسط جماعة المؤمنين، التركيز على عالميّة أفعال يسوع والإعلان بتحقيق القصد الإلهيّ بواسطة حبكات سرديّة بسيطة ودقيقة. هكذا تصبح قصّة شفاء المقعد إعلانًا مفتوحًا لمجيء المسيا المنتظر من اليهود الذي

يسمح غفران الخطايا لكلّ البشر. هكذا يصير هذا المشهد إنجيلاً صغيرًا يحتوي على أهمّ صفات البشارة، إذا وُضع على قاعدة التعليم المعلَن في العظة على الجبل.

في الختام نقول إنّ خبر هذه العجيبة يصوّر بوضوح مسيرة الإنسان المقعَد بالخطايا والذي صار يمشي من جديد بسبب فعل يسوع المسيح الخلاصيّ. إذا قرّر المرء أن يعود إلى ربّه، الله يقيمه من خطاياه ويضعه على طريق الإيمان لكي يمشي بحسب مشيئته تعالى إلى مساكن الأمان.

المراجع

الفغالي بولس، **إنجيل متّى**، ٤ أجزاء، سلسلة دراسات بيبليّة ١٤، ١٩، ٢١، ١٦، بيروت: الرابطة الكتابيّة، ١٩٩٦–٢٠٠٠.

مجموعة من الباحثين، **المعجزات في الإنجيل**، دراسات في الكتاب المقدّس ٣، بيروت: دار المشرق، ١٩٩٠.

GNILKA J., *Das Matthäusevangelium 1,1-13,58* (HTKzNT I/1), Freiburg: Herder, 2001.

_____, El Evangelio según san Marcos. Mc 1,1-8,26. Vol. I (BEB 55), Salamanca: Sígueme, 1999.

HARRINGTON D., *The Gospel of Matthiew* (Sacra Pagina 1), Collegeville (Minnesota): The Liturgical Press, 1991.

KLAWANS J., «Notions of Gentile Impurity in Ancient Judaism», *AJS Review 20* (2, 1995) 285-312.

KREMER J., Art. «o`ra,w», in Horst Balz et all., *Diccionario exegético del Nuevo Testamento II*, Salamaca: Sígueme, 1998, 581-588.

LUZ U., *El Evangelio según San Mateo. Mateo 8-17.* Salamanca: Sígueme, 2001.

MARGUERAT/ BOURQUIN, *Cómo leer los relatos bíblicos. Iniciación al análisis narrativo*. Santander: Sal Terrae, 2000.

METZGER B., *A Textual Commentary on the New Testament.* 2nd edition. Stuttgart: Deutsche Bibelgesellschaft, 2002.

POITTEVIN/CHARPENTIER, *El evangelio según san Mateo* (CB 2), Estella: Verbo divino, 1989.

VIVIANO B., «Evangelio según Mateo», in: Brown, R.E. et alt., *Nuevo Comentario Bíblico San Jerónimo. Nuevo Testamento y artículos temáticos*. Estella (Navarra): Verbo Divino, 2004, 66-132.

VARGAS-MACHUCA A., «El paralítico perdonado en la redacción de Mateo (Mt 9,1-8)», *Estudios Eclesiásticos* 44 (1969) 15-43.

WEIGANDT P., Art. «οἶκος», in Horst Balz et all., *Diccionario exegético del Nuevo Testamento II*, Salamaca: Sígueme, 1998, 500-508.

تقسيم النصّ

[1]Καὶ ἐμβὰς εἰς πλοῖον διεπέρασεν καὶ ἦλθεν εἰς τὴν ἰδίαν πόλιν.

[1]فدخل السفينة واجتاز وجاء إلى مدينته.

[2]καὶ ἰδοὺ προσέφερον αὐτῷ παραλυτικὸν ἐπὶ κλίνης βεβλημένον.

[2]واذا مفلوج يقدمونه إليه مطروحا على فراش.

καὶ ἰδὼν ὁ Ἰησοῦς τὴν πίστιν αὐτῶν εἶπεν τῷ παραλυτικῷ,

فلما رأى يسوع إيمانهم قال للمفلوج

Θάρσει, τέκνον, ἀφίενταί σου αἱ ἁμαρτίαι.

ثق يا بني. مغفورة لك خطاياك.

[3]καὶ ἰδού τινες τῶν γραμματέων εἶπαν ἐν ἑαυτοῖς,

[3]واذا قوم من الكتبة قد قالوا في أنفسهم

Οὗτος βλασφημεῖ.

هذا يجدّف.

٤καὶ ἰδὼν ὁ Ἰησοῦς τὰς ἐνθυμήσεις αὐτῶν εἶπεν,

٤فعلم يسوع أفكارهم فقال

Ἱνατί ἐνθυμεῖσθε πονηρὰ ἐν ταῖς καρδίαις ὑμῶν;

لماذا تفكرون بالشر في قلوبكم.

٥τί γάρ ἐστιν εὐκοπώτερον,

٥أيّهما أيسر

εἰπεῖν, Ἀφίενταί σου αἱ ἁμαρτίαι, ἢ εἰπεῖν, Ἔγειρε καὶ περιπάτει;

أن يقال مغفورة لك خطاياك،أو أن يقال قم وامش.

٦ἵνα δὲ εἰδῆτε

٦ولكن لكي تعلموا

ὅτι ἐξουσίαν ἔχει ὁ υἱὸς τοῦ ἀνθρώπου ἐπὶ τῆς γῆς ἀφιέναι ἁμαρτίας

إنّ لابن الإنسان سلطانًا على الأرض أن يغفر الخطايا.

τότε λέγει τῷ παραλυτικῷ,

حينئذ قال للمفلوج.

Ἐγερθεὶς ἆρόν σου τὴν κλίνην καὶ ὕπαγε εἰς τὸν οἰκόν σου.

قم احمل فراشك واذهب إلى بيتك.

٧καὶ ἐγερθεὶς ἀπῆλθεν εἰς τὸν οἶκον αὐτοῦ.

٧فقام ومضى إلى بيته.

^ἰδόντες δὲ οἱ ὄχλοι ἐφοβήθησαν καὶ ἐδόξασαν τὸν θεὸν
^فلما رأى الجموع تعجبوا ومجدوا الله
τὸν δόντα ἐξουσίαν τοιαύτην τοῖς ἀνθρώποις.
الذي أعطى الناس سلطانا مثل هذا